

الدورة القرائية ٣١

كتاب

أفي النبوءة شك؟!

د.سامية بنت ياسين البدري

ملخص المقدمة



Katib_Kitab



<https://kkitab.com>

إعداد مركز رسيل للاستشارات التربوية والتعليمية



بداية الرحلة

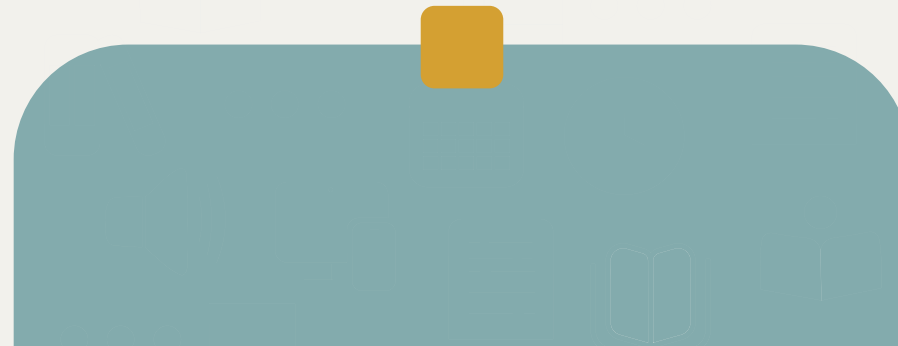
وجد الإنسان في نفسه ضرورةً مُلحة للبحث عن إجابةٍ
للأسئلة الوجودية الكبرى، مثل: السؤال عن ماهية العالم
والإنسان؟ وكيف بدأ الخلق وكيف ينتهي؟ وما هي صفات
خالق هذا الكون العظيم؟



وللإجابة عن هذه الأسئلة نكون بين أمرين لا ثالث لهما:

الأول:

أن الله -سبحانه- ترك خلقه سُدىً ولم يبين لهم الطريق إليه، وهذا غير معقولٍ ومحالٍ تصوّره.





الثاني:

أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- يَبَيِّنُ لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ بِأَقْوَى الْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ الَّتِي لَا يُخَالِطُهَا الشَّكُّ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْقُولٌ وَيُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ، وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى النَّاسِ لِيَعْرِفُوا رَبَّهُمْ وَحُكْمَهُ وَشَرْعَهُ، وَجَعَلَ لِهَذَا الطَّرِيقِ دَلَالًا عَلَى صِحَّتِهِ وَسَلَامَتِهِ؛ فَأَيَّدَ أَنْبِيَاءَهُ بِالْآيَاتِ تَصَدِيقًا لَهُمْ، وَأَحْكَمَ الدِّينَ وَأَكْمَلَ الشَّرِيعَةَ لَتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى كَمَالِ مُشْرِعِهَا -سُبْحَانَهُ-؛ فَمَنْ عَرَفَ بِأَنَّ لِهَذَا الْكَوْنَ خَالِقًا لَزِمَ أَنْ يَعْرِفَ بِأَنَّهُ أَمْرٌ وَنَاهٍ عَلَى خَلْقِهِ، فَالتَّأَلُّهُ لَيْسَ مُقْتَصِرًا عَلَى الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَإِنَّمَا يَشْمَلُ التَّشْرِيعَ وَالْحُكْمَ أَيْضًا، فَالتَّدْبِيرُ وَالْخُضُوعُ لِلإِلَهِ الْمَعْبُودِ يُشْبِعُ حَاجَةً بَشَرِيَّةً فُطْرِيَّةً.

لقد دلّ القرآن الكريم على صدق نبوة النبي محمد ﷺ باستحالة صدوره منه، لأن ثبوت الدين قائم على ثبوت النبوة وعليه؛ فكان لزاماً أن نبين هذه الدلالات، **وهنا مسألتان:**

■ الأولى: البرهنة على إمكان النبوة.

■ الثانية: البرهنة على صدق نبوة النبي محمد ﷺ، واستحالة أن يكون القرآن منه، والمسألة الثانية متضمنة للأولى؛ إذ كيف أبرهن على صدق النبوة ما لم تكن ممكنة.

مقدمات أساسية

أولاً

أهمية البحث:

كل مسألة من مسائل الدين الإسلامي قد قامت الأدلة العقلية والنقلية على صحتها لتقوم الحجة، ويكون التسليم لدين الله قائماً على البراهين التي لا تدع مجالاً للشك، ومن أعظم الأدلة على مسألة صدق نبوءة النبي محمد ﷺ القرآن الكريم، حتى أن غير المسلمين يجدون فيه مصدراً هاماً للبرهنة على نبوءته ﷺ، الأمر الذي يعد فريداً في تاريخ الأديان.

فدلالة القرآن على صدق النبي ﷺ وأنه وحي من الله تعالى أيّد به نبيه ﷺ لا تتوقف على أدلة خارجة عنه على ضرورتها، بل هي دلالة ضمنية على أنه من عند الله عزوجل، فهو بهذا الدليل والمدلول معًا، ودلالة التضمن من أقوى الدلالات فهي قطعية يقينية، لأن الدليل هو المدلول، وإذا انتفت المغايرة بين الدليل والمدلول استحال الشك في الدليل، بخلاف دلالة الاستلزام التي يمكن القدح فيها من جهة الشك في نسبة التلازم بين أمرين متلازمين لحصول المغايرة بينهما.



أن تقريرها هو عماد الدين وأصلُ الدعوة، كونها طريق الناس لمعرفة ربهم بأسمائه الحُسنَى وصفاته العُلى، ومعرفة شرعه وحُكمه، والجزاء المترتب على عبادته وطاعته، فهي من أهم مسائل الدين كونها تُجيب عن أسئلة الوجود والغاية، ومن ضلَّ في هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب.

ثانيًا

الكتابة في أدلة صدق النبوة ضرورة ملحة

إنّ الكتابات في مسألة النبوات هي بين مد المنهج المعرفي العقلاني، وجزر المنهج العرفاني الكشفى؛ فأصحاب المنهج المعرفي العقلاني هم المتكلمين الذين تولوا الرد على ملاحدة ينكرون النبوة من غير تأصيلٍ شرعيٍّ مبنيٍّ على أدلة العقل والنقل؛ فظهرت بعض المصطلحات التي لم ترد في الوحيين ولم يقل بها سلف الأمة، بالإضافة إلى الخلل المعرفي والمنهجي والمفاهيمي في الاستدلال على مسائل العقيدة والمتمثل في معارضة العقل للنقل، متأثرين في ذلك بكتب الفلسفة اليونانية المترجمة، فحصر بعضهم أدلة النبوة على الآية المحسوسة (المعجزة) وأنكر ما عداها، وإن كان لهم جهودٌ تُذكر فتشكر لكن الخلل المعرفي عندهم جعل تقرير مسألة النبوة من خلال أدلتهم أمرًا غير ممكن.

كما يمثّل هذا المنهج المتأثرين بالمنهج الغربي المادي التجريبي القائم على أنّ المعرفة تكون عن طريق الحس والمشاهدة فقط، وبالتالي فأمور الغيب -ومن ضمنها النبوات- ضربٌ من الأساطير لأنها لا تُدرك بالحس والمشاهدة، وقابلَ هؤلاء بعضُ ممن طبق الجانب العلمي التجريبي للمكتشفات الحديثة للاستدلال على النبوة وهذا المنهج فيه خللٌ معرفي يعارض تقرير مسألة النبوة.

وهناك من حاول تطبيق المنهج العقلي المادي النقدي على القرآن الكريم محاولاً إعادة قراءته وفق ما أسموه أرخنة وأنسنة النص؛ ليصبح الإنسان معياراً لكل شيء، وهو منهج يُنكر إلهية القرآن الكريم، وينكر النبوات عموماً، وهو نفسه منهج الكفار والمشرّكين ممن أنكروا نبوة النبي ﷺ قديماً، مع اختلافٍ في المنطلقات الفكرية بين الفريقين.

إضافةً إلى الأدبيات الجدليّة الاستشراقية التي قدمها رجال اللاهوت النصراني واليهودي من خلال دراساتهم لترجمة القرآن وسيرة النبي ﷺ القائمة على إنكار ألوهيّة القرآن الكريم لمعارضته عقائد اليهود والنصارى المحرّفة، وبالتالي فلا يُمكن -بزعمهم- أن يكون محمد رسولاً من عند الله عزوجل، وأصبحت هذه الأدبيات أنموذجاً لأدبيات حداثي العرب ومن شابههم.

أما المنهج العرفاني الكشفى فقامَ على الخرافة والدجل من خلال الاستدلال بالروايات الموضوعة؛ فالنبوة عندهم مكتسبة ومستمرة؛ فلا يسلمون بحقيقة أن النبي محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء.

فالكتابة في النبوءات نشأت بين كتاباتٍ لم تُبنَ
على منهجٍ معرفيٍّ سليم، وأخرى كانت تتعمد
محاربة الإسلام والتشكيك في مسأله، أو الخروج
من دائرة الشرع عمومًا تحت مسمى التنوير
العقلاني.